الأقلام العربيـــة في المهاجر الأمريكية

للأستاذ يوسف البعيني

لا يجهل أحد في مصر وسائر الأقطار العربية تلك النهضة الفكرية الأدبية التي يقوم بها فريق من خيرة كتابنا وراء البحار ، فهنالك خطباء وشعراء وكتاب من الطراز الأول يعززون القومية العربية ، ويذودون الجاليات بثقافتها وتاريخها وآدابها .

ولدى رسائل عدة من صفوة الكتاب هناك يحمدون فيها (الرسالة) دعوتها ، ويباهون بنهضتها ، ويرونها يحق كتاب الشرق الجديد وديوان العرب المشترك .

ومن هؤلاء الكتاب المعجبين بالرسالة عبقري مجدد ملك آداب الفرنجة فاجتذبها الى بيانه العربي في حين تخطف هذه الآداب عددا كبيرا من الناشئة حتى في عقر دارنا .

وهذا البقري هو الأستاذ يوسف البعيني الذي لا تخلو جريدة أو مجلة عربية في شمال أميركا وجنوبها من بدائعه ، وقد رأي أن يرسل الي القطعة الآتية لتنشر في الرسالة فاتحة لما سيتبعها من رسائل لاخوان لنا وراء البحار من حقهم أن نخصص لهم صفحة في ديوان العرب المشترك .

وإني لأفرد هذه القطعة الرائعة .

ف . ف

حبٌ وغرام

في كتبِ الحبّ وقصص الغرام مقاطع مشرّبة بالعهود ، وصفحاتٌ مبطّنة بالوفاء . فعند ما يُصغي الشاعر الحسّاس إلى رنين ألفاظها وهمسَ معانيها تطفو عليه موجةٌ مترعة باليأس والحنين . وكثيراً ما يشاهد في قرارتها أحلامه المبعثرة بين فجر الماضي ومَسائه

ومَنْ يتفهّم مرامي تلك الصفحات الغراميّة يعلم أنّ كاتبيها وضعوها لتكونَ رمزاً إلى العهود على مَدَى الليالي والأيام ... وأروعُ ما في الحياةِ عندي هي العهود .. أجل العهود التي تعطينا صوراً جليّة عن أسرار القلوب وخفايا الأرواح

فان أكثر الحفّارين عند ما أرادوا أن يرسموا المثلَ الأعلى في الحبّ لم يجدوهُ إلاّ في العهود ... وهكذا أدركَ الشعراء أيضاً أن أجملَ ما في الشعر صفحةٌ غرامية تعبّرُ عن الوفاء ... ومتاحف العالم اليوم طافحةٌ بدُمى الحفّارين . كما أنّ قصص الشعراء زاخرة بأخبار الحبّ والغرام . وفي اعتقادي أنَ الشاعر في صفحاتهِ ، والحفّار في دُماه ، إنّما كانتْ بغيتهما تخليدُ العهود !!

ولكن هل في الحياة حبّ مغموس بالوفاء ، وغرامٌ منحوت من العهود ؟ أم هما موجودان فحسب في أحلام الشعراء ودمى الحفّارين ؟ من يدري ... وكلُّ ما أعلمهُ هو شاذٌّ عن أفهامِ الناس وعن أذواقهم

* * *

أنا لا أُريد أن أبحث عن صِحّة تلك الأحلام وعن خطأها ، ولا أبتغي البحث عن جمال تلك الدمى وعن عللها ؛ إنما أريد أن أتحدّث عما فيها من حبٍّ وغرام ، وهما أقرب إلى العهود منهما إلى شيء آخر

فلقد قرأتُ في الكتاب الشعريّ الأنيق ـ تهاليل الفجر ـ الذي أخرجه الكاتبُ المجدّد « بيير لويس » بموضوعاً شيقاً عن رسائل الراقصة الروسيّة الساحرة ـ إيذادورا دونكان ـ التي كانتْ ترسلها إلى حبيبها التعس « إيفان بارشوف » عندما بلغها خبرُ مرضه وأنه يلهج باسمها فوق سَرير آلامه . وإني لمورد في ما يلي هاتين الرسالتين المشبعتين بغرامِ الراقصة الجميلة وحبّها المفعم بالوفاء

— ١ —

أيها الحبيب !

إنّ زهرةَ مخدعي التي أبقيتَ على أوراقها ذكراً يهولني مرآها الشاحبُ الحزين ... والسراجَ الأحمر الذي كنتُ ألمحُ في نظراتهِ بهجةً وإغراء فيما مضى يروعني الآنَ منه نورهُ الواجمُ الضئيل ... والبلبل الغريد الذي كان ينبّهني إلى إجتناء اللذات يشجوني نفورهُ المبهم ، وصمتُه العميق !!

إنّ روحي تريد أن تستهدي إلى قرارها في ليل شوقها وحنينها فيصدُّها العذاب ... عذابُ فراقكَ الطويل الذي أورثني ملّةً خرساء كسكينة القبور

لقد علمتُ أنك تقاسي من أجلي آلاماً مبرّحة ... فهل عرفتَ أيها الحبيب أنّ في قلبي المعذّب شجواً محتظلاً أمرّ من الموت ؟

أحياناً ... تهفو على مخيّلتي أحلام ملولة مزعجة ... أحلام

سوداء مخيفة ! فأحجب وجهي بكلتا يدىّ وأغيبُ فى غمرة موجعة متمنّية بعدها المنيّة لأنه لا قدرة لى على استماع أنّاتك وشكاواك !

أضرعُ إلى الله أن يرحمنى بشفائك . وثق أني سأبقى سجينة مخدعي، بعيدةً عن خلوات أحلامى، متجرّدة من سرورى وابتسامى ، هاجرة شعاع القمر الشاهد على أويقات حبنا وغرامنا حتى تعود إلى ذراعى حبيبتك (ايذادورا)

— ٢ —

يا معبودى الجميل !

الآن وقد أرخى الليلُ سدوله على البسيطة مغلقاً بأنامله الناعمة أجفانَ النيام ، تمرُّ بى أشباحٌ خفيّة هامسة فى مسامعى اسم ذلك الحبيب الذى أجرى فى أودية قلبى جدولا لا ينقطع خريره ، وغرس فى حديقة روحى زهرة معطرة لا تموت .

وعلى هذا النغم الشجيّ المؤثر الذى تلحنه الظلمة فيردّده الدجىَ باكياً ملتاعا ، أسمعُ نعيباً منذراً بمأساة مرعبة فأمسى كورقة تهبُّ عليها الرياح السافيات .

لقد مات بلبلنا الحبيب صباحَ اليوم ! مات ضمن قفصه وهو ينظر إلى الأعالى كأنه يرى بين الغيوم خيالا عجيباً ، فبكيته طويلا وقلت فى نفسى هل مات حبنا المقدس بموت هذا الطائر الصغير !

إن نفسى تلفحها الآن نار متلظية ، نار محرقة تضرمها أيد مجهولة ؛ فمتى تتحول هذه النفس إلى رماد هامد لا يحس؟ إن النفس التى تحس لهى شقية ، إذ تحياها ئمة وراء أحلامها الشاردة . ولن أشعر بالراحة إلا عند ما تغمرنى بقبلاتك الطائشة (إيذادورا)

***

وأذكر أننى عند ما قرأت هذه الرسائل — وكلها مطلية بالحب والغرام — استولت على كآبة خرساء بلا معنى ، وأية روح مهما بلغ فهمها لفلسفة الحب لا تشعر بسلطان خفى مجنح يستأثر بها ويحملها إلى أمكنة نائية لا تنطق فيها إلا العهود ، ولا يتمايل فى أجوائها غير الوفاء

إن هذه القبلة الطافية فوق ألفاظ العاشقة الوالهة ، وهذا التوق الملح النابض بأسرار قلبها ، وهذا الإيمان الثابت القاطن أعشاش صدرها . . . إن كل ذلك هل تحافظ عليه دون خداع فى الحب ؟ ولنفرض أن حبيبها حجبه الموت بعد حين فهل تبقى وفية له طوال أيامها ؟

لقد مات — إيفان بارشوف — بعد كتابة هذه الرسائل بثلاثة أسابيع . فلا أذكر إذا كانت الراقصة المغرمة قد تفجعت عليه تفجعها فى رسائلها إليه . ولكنى أعلم أنها نسيته سريعاً

فانها لم تبكه بدمعة

ولم تنثر على ضريحه زهرة

ولم تذكرهُ بكلمة . . .

ولم تتلهف على أيامه الماضية

بل كانت ، قبل أن يجف قبره ، تعانق حبيباً جديداً لتنسى فى دعابه ومزاحه ذلك العاشق المسكين الذى أسكنه الدهر تلك الحفرة الضيقة الباردة ليقضى فيها زمناً مجهولا غير عالم بما يجرى فى هذا الوجود

فالوفاء والعهود كلمتان نجدهما فى كتب الشعراء وتماثيل الحفارين . أما فى هذا العالم فلسنا نجد الا حباً كاذباً وغراماً سريع الزوال يعقبه دائماً نسيان أبدى على أثر محو القبلة التى تتبادلها الشفاه !

***

وهناك حب سريع الزوال ، فهو وإن مازجته الدموع وأفعمته التنهدات ، تمحوه الحياة كما يمحو شعاع الشمس لهاث الطفل العالق على لوح من زجاج

فى أواسط الجيل الماضى تحدث الناس عاماً كاملا عن قصة غرامية جرت حوادثها بين الغادة الحسناء « المدموازيل إلسيت » وبين الشاعر الجميل — شارل هيكو . والذى عجب له الناس كثيراً هو هيام الحسناء بالشاعر الصغير وتفضيلها اياه على كبار رجال باريس الذين غمروها بالذهب والحلى وأحاطوها بكل أسباب الترف والابهة والكبريا

وقد أبقى العاشقان رواية يُطرب استماعُها ، ويشوق موضوعُها . فانّ الحسناء كانت كلفة كثيراً بالشاعر الى درجة انها لم تكن تقوى فيها على فراقه ساعة واحدة وفى ذات يوم حكم على العاشق الفتى أن يبرح باريس شهراً على الأقل . فلما عاد الى ذراعيها صدته عنها بحجة ان قبعته المعجب بها ليست ظريفة . وان الأشعار التى ينشدها اياها مختلسة من دفتر صغير أسود الغلاف يقبع دائماً تحت وسادة والده الشاعر الكبير فيكتور هيكو

وهذه الحجة الساخرة بما فيها من ضراوة المرأة المستهترة كثيراً ما تتمثل فى الحياة . ولا أشك فى أن القراء يجهلون تلك

القصة الدامية التي تركها الشاعر الالهي الساحر — دي موسيه — مع جورج ساند وكيف عبثت بقلبه الرقيق لتتعلق بطبيب إيطالي لأنه لا يهمهم في الظلمة ... ولا يحب الخمرة ... مثل موسيه !

لقد يطول بي الحديث إذا أنا مررت بكل ما هنالك من شؤون وعبر . ولكنني مكتف الآن بايراد لمحة وجيزة عن غرام الشاعر المشهور — شارل بودلير — مع حبيبته المعبودة — جان ديفال — التي ألهمته أشجى أشعار الحب والجمال في كتابه الخالد «أزاهير الشر» وهذه الحبيبة التي عشقها طول حياته كانت سوداء !!

وأعتقد أن الشعراء الساخرين ليضحكون من هيام الشاعر اللطيف بامرأة سوداء . نعم قد يضحكون . . ولكنه الغرام . . . الغرام القاهر الذي يستحوذ على القلب الضعيف فيقيده بالسلاسل ويغله بالأصفاد

وعلى الرغم من شغف الشاعر ، ولهفة روحه ، وثابت وفائه ، فقد خدعته حبيبته الماكرة بعد أن نحت لها من غرامه تمثالا ومن حبه محراباً للعبادة . ولكن هذا الخداع في الغرام ، وهذه الخيانة في الحب أغنيا الأدب الفرنسي لأنهما أفاضا دموع الشاعر وأوقدا نار وجده وحنينه !

***

أنا لا أريد أن أشجب الحب ، وأن أهجو الغرام كلا ما إلى هذا أذهب . . بل أريد إثبات أنهما موجودان وحسب في كتب الشعراء وتماثيل الحفارين . والشاعر والحفار لا يصوران غالباً إلا كل ما سما في فضاء الأحلام وما تمدد على سرير الشعور والاحساس

الرجل الذي يعتقد خلود الغرام ووفاء الحب هو رجل مسكين يستحق الشفقة . . . إذ لا قبلة يبقى طعمها على الشفاه ، ولا وعود تظل محفوظة ، ولا ذكرى تحيا في القلوب

وجل ما هنالك حب كاذب وغرام خادع شبيهان بالخطوط التي ترسمها الأمواج على رمال الشاطئ . فاذا لم تمحها العاصفة لاتلبث الأمواج أن تمحوها . فالحب الذي لا تبدده الحياة يبدد نفسه بنفسه ، والغرام الذي لا يبعثره الموت يبعثر ذاته بذاته

هما حلم يراود الروح في المنام ، ولكن اليقظة تشتته ولا تترك منه إلا أثراً دامياً يحتفظ الأماني ، ويشقى الآمال

(البرازيل) يوسف البعيني

هكذا قال زرادشت

للفيلسوف الالماني فريدريك نيتشه

ترجمة الأستاذ فليكس فارس

في الجزر السعيدة

ها إن التين يتساقط عن أشجاره عطر النكهة حلو المذاق وقشوره الحمراء تتشقق بسقوطها ، وأنا هو ريح الشمال يهب على هذه الأثمار الناضجة . إن تعاليمي تتساقط إليكم أيها الصحاب كمثل هذه الأثمار فتذوقوها الآن عند ظهيرة من أيام الخريف وقد صفت فوقكم السماء .

سرّحوا أبصاركم فيما حولكم من خيرات الأرض ثم مدوا بها إلى آفاق البحر البعيد فليس أجمل لمن فاض رزقه من أن يتطلع إلى الأبعاد

لقد كان الناس يتلفظون باسم الله عند ما كانوا يسرّحون أبصارهم على شاسعات البحار ، أما الآن فقد تعلمتم الهتاف باسم الانسان الكامل

إن الله افتراض وأنا أريد ألاّ يذهب بكم الافتراض إلى أبعد مما تفترض إرادتكم المبدعة .

أفتستطيعون أن تخلقوا إلهاً ؟ إذن أقلعوا عن ذكر الآلهة جميعاً ، فليس لكم إلا إيجاد الانسان الكامل

ولعلكم لن تكونوا بنفسكم هذا الانسان الكامل ولكن في وسعكم أن تصبحوا آباء وأجداداً له . فليكن هذا التحول خير ما تعملون

إن الله افتراض وأنا أريد ألا يتجاوز بكم الافتراض حدود التصور ، فهل تستطيعون أن تتصوروا إلهاً ؟ فاعرفوا من هذا أنّ واجبكم هو طلب الحقيقة فلا تطمحوا إلى ما يبلغه تصور الانسان وبصره وحسه ، فأمسكوا بتصوركم كيلا يتجاوز حدود حواسكم

يتحتم عليكم أن تبدأوا بخلق ما كنتم تسمونه عالماً من قبل فيتكون عالمكم من تفكيركم وتصوركم وإرادتكم ومحبتكم